

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد لمين دباغين، سطيف2
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها
محاضرات موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس - الدراسات اللغوية بنظام (ل.م.د.)
مقياس منهجية البحث اللغوي
إعداد الأستاذة: دلولة قادري
السنة الجامعية 2021/2020م

المحاضرة الأولى مدخل لتحديد المصطلحات والمفاهيم
(المنهج، المنهاج والمنهجية)

مدخل لتحديد المصطلحات والمفاهيم (المنهج، المنهاج والمنهجية)

ترجع هذه المصطلحات الثلاثة (المنهج، المنهاج والمنهجية) إلى أصل واحد وهو (نهج)، وهي تعني في اللغة العربية الطريق الواسع المستقيم الواضح البين، قال الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ): "طريق نهج: واسع واضح، وطريق نهجة، ونهج الأمر و أنهج لغتان، أي: وضح، و نهج الطريق : وضحه، و المنهاج: الطريق الواضح." و الملاحظ في هذا التعريف أن الخليل بن أحمد لم يضع حدودا فاصلة بين مصطلحي المنهج (بكسر الميم) والمنهاج.

كما أن ابن دريد (ت 321هـ) لم يبتعد عن هذا التعريف كثيرا، غير أنه أثبت مصطلح (المنهج) بفتح العين لا بكسرها وجعل صيغة الجمع لها (مناهج)، وذكر بعض استعمالتهما الأخرى فقال: " النهج: الطريق الواضح، والجمع نهوج و نهاج، وهو المنهج، والجمع مناهج" . وقال الجوهري (ت 383هـ): " النهج: الطريق الواضح، وكذلك المنهج و المنهاج وأنهج الطريق، أي: استبان وصار نهجا واضحا بينا...و نهجت الطريق : إذا أبنته وأوضحته."

وجعل ابن سيده (ت 458هـ) مصطلحي المنهج و المنهاج بمفهوم واحد أيضا، فقال: " طريق نهج: بين واضح... و الجمع: نهجات ونهيج و نهوج ... وفي التنزيل: << ولكل جعلنا منكم شرعة و منهاجا>> .

وذكر الزمخشري (ت 538هـ) أهم استعمالات هذه الكلمة عند العرب، جاعلا الصيغ الثلاثة (النهج، المنهج والمنهاج) بمعنى واحد جامع ، فقال: " نهج: أخذ النهج و المنهج والمنهاج

وطريق نهج، وطرق نهجة، ونهجت الطريق: بينته، و انتهجته: استبينته، و نهج الطريق و أنهج: وضح."

ولعل أشمل تعريف لمادة (نهج) هو ما ذكره ابن منظور (ت711هـ) بقوله: " نهج : طريقٌ نَهَجٌ: بَيِّنٌ وَاضِحٌ وَهُوَ النَّهْجُ ، وَالْجَمْعُ نَهَجَاتٌ وَنُهْجٌ وَنُهْجٌ ، وَطُرُقٌ نَهَجَةٌ وَسَبِيلٌ مَنْهَجٌ: كَنَهَجٍ. وَمَنْهَجُ الطَّرِيقِ: وَضَحُهُ. وَالْمَنْهَاجُ: كَالْمَنْهَجِ. وَفِي التَّنْزِيلِ: لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا. وَأَنْهَجَ الطَّرِيقُ: وَضَحَ وَاسْتَبَانَ وَصَارَ نَهْجًا وَاضِحًا بَيِّنًا. وَالْمَنْهَاجُ: الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ. وَفِي حَدِيثِ الْعَبَّاسِ: لَمْ يَمُتْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَتَّى تَرَكَكُمْ عَلَى طَرِيقِ نَاهِجَةٍ ، أَيْ وَاضِحَةٍ بَيِّنَةٍ. وَنَهَجْتُ الطَّرِيقَ: أَبْنَيْتُهُ وَأَوْضَحْتُهُ. وَالنَّهْجُ: الطَّرِيقُ الْمُسْتَقِيمُ. وَنَهَجَ الْأَمْرُ وَأَنْهَجَ ، لُغْتَانِ ، إِذَا وَضَحَ."

من خلال التعريفات اللغوية السابقة، نجد أن المصطلحات الثلاث (المنهج، المنهجية، المنهاج) ترجع إلى جذر لغوي واحد هو(نهج) والذي يحمل دلالة لغوية واحدة وهي الوضوح والاستقامة.

اصطلاحاً:

إن هذه المصطلحات الثلاث يجمعها موضوع واحد وهو البحث العلمي، وتبدو وكأنها مترادفة مما أدى إلى تداخل مفاهيمها، ونشوء نوع من اللبس للتفريق بينها، إلا أننا إذا دققنا في خصائص كل منها، وجدنا بينها فروقا دقيقة تجعل لكل مصطلح مجاله الخاص وخصائصه المميزة.

1- **المنهج:** كلمة منهج هي الترجمة العربية للكلمة الفرنسية methode والكلمة الإنجليزية method، وهي مشتقة من لفظ يوناني methodos المتكون من مقطعين méta بمعنى: بعد و(بعد) في اللغة العربية تأتي بمعنى الحد والعمق والانتساع و الامتداد ، و من : hodos الطريق . و المعنى العام للمقطعين هو : التزام السير في طريق محدد. أول من استعمل كلمة منهج أفلاطون و أرسطو، و قد استعملها بمعنى البحث أو النظر أو المعرفة، ثم تطور معنى كلمة المنهج في عصر النهضة لنجد أن طائفة من المناطق قد اصطاحت على قسم من أقسام علم المنطق بلفظ منهج ليدل على أنه "طائفة من القواعد العامة المصوغة من أجل الوصول إلى الحقيقة في العلم". وأهم الذين أثاروا هذا المفهوم للمنهج هم المنطقة أمثال: الفيلسوف الفرنسي راموس (Petrus Ramus) (ت1572م)، والفيلسوف الرياضي البرتغالي نونيث (Pedro Nunes) (ت1578م) والفيلسوف الإيطالي زيرله (Jacopo Zabarella) (ت1589م)، و الإسباني مولينا (Luis de Molina) (ت1600م) و الفرنسي أوستاش دي سان بول (Paul -Eustache de saint) (ت1640م)، الذين اعتبروا المنهج جزءاً من أجزاء المنطق.

اتضح مفهوم المنهج أكثر مع العالم والفيلسوف الإنجليزي بيكون (Francis Bacon) (ت1626م) الذي حدد قواعد المنهج التجريبي الذي يقوم على أساس الاستقراء مخالفة لمنهج أرسطو الذي يقوم على أساس القياس، فكان بذلك رائد الفكر العلمي الحديث ، والعالم الرياضي الإيطالي جاليليو (Galileo Galilei) (ت1642م) الذي فطن إلى وظيفة الرياضيات في العلم الطبيعي، وكان اعتماده على الرياضيات سبباً في تقدم العلوم التجريبية، وهو أول من استخدم الملاحظة والتجربة في التحقق من صدق الفروض الرياضية ، فكان منهجه رياضياً يبدأ بوضع بعض الفروض التي يتخيلها في صورة رياضية ثم يستنبط منها النتائج ثم يتحقق من صدق تلك النتائج بطريقة تجريبية، والفيلسوف الرياضي الفرنسي ديكارت (Rene Descartes) (ت1650م) واضع الهندسة التحليلية، الذي حاول أن يكتشف المنهج المؤدي إلى حسن السير بالعقل

في البحث عن الحقيقة في العلوم، و مناطق مدرسة بور رويال (Port Royale) الفرنسية أمثال أنطوان أرنولد (Antoine Arnauld) (ت 1694م) وبيير نيكول (Pierre Nicole) (ت 1695م) الذين حددوا المنهج بشكل واضح، وعرفوه بأنه: " فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين، أو من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين". ثم توجت تلك الجهود بمفهوم اصطلاحي جديد للمنهج، يجمع بين المنحى التجريبي الذي جاء به بيكون (Francis Bacon) و المنحى الرياضي الاستدلالي الذي جاء به مناطق مدرسة بور رويال (Port Royale)، وهو المفهوم نفسه المتداول في عصرنا الحديث، الذي يعرف المنهج بأنه: " الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيم على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة".

الملاحظ على هذه المراحل أن الذي تطور وتغير ليس المنهج نفسه بل أنواعه وأهدافه، على اعتبار أن الاستقراء و الاستنباط نوعان من أنواع المنهج، وأن الكشف عن الحقيقة أو البرهنة عليها هدفان من أهدافه، أما مفهومه وماهيته فإنها لم تتبدل ولم تتغير، فالمنهج منذ عهد أرسطو إلى يومنا هذا هو نفسه لم يتغير، ومعناه: الطريق الموصل إلى الحقيقة وفق مبادئ وقواعد يسير عليها العقل وتحدد عملياته، أما الذي تطور واختلف فهو تلك المبادئ والقواعد، لأن اختلاف الأهداف يؤدي إلى اختلاف نوع المنهج، وباختلاف نوع المنهج تختلف تلك القواعد والمبادئ التي تسيطر على سير العقل وتحدث عملياته، فالمنهج يشمل الأساليب و الأدوات و التقنيات، وبالمنهج يتحدد الأسلوب وتتحدد الأدوات والتقنيات التي من شأنها أن توصل الباحث إلى مبتغاه وعلى قدر ما كان اختيار المنهج دقيقا وموفقا، على قدر ما تكون الدقة في اختيار الأسلوب المناسب و الأدوات و التقنيات المناسبة للوصول إلى نتائج علمية دقيقة.

تختلف المناهج في هذه العناصر الثلاثة (الأسلوب و الأدوات و التقنيات)، فالمنهج التاريخي يختلف عن المنهج الوصفي الذي يختلف بدوره عن المنهج المقارن وهكذا. والحقيقة أن كلمتي الأسلوب و المنهج يكادان يكونان مترادفين من الناحية اللغوية فالأسلوب هو الطريق الممتد والوجه و المذهب، حيث يقول ابن منظور: " سلبه الشيء يسلبه سلبا...و يقال للسطر من النخيل أسلوب، وكل طريق ممتد فهو أسلوب، والأسلوب: الطريق والوجه والمذهب".

وهذا التداخل بين المصطلحين من الناحية اللغوية قد أثر بشكل واضح في الاستعمال الاصطلاحي لهما، فكثيرا ما نجد المنهج يستعمل بمفهوم الأسلوب أو العكس، والملاحظ أن الفرق بين المصطلحين دقيق، ولا يقصد من هذا التقريب تعارض المصطلحين، بل إن كل واحد منهما يكمل الآخر، ويمكن وصف العلاقة بينهما بأنها علاقة تكاملية تبادلية، فعبارة (المنهج الاستقرائي) مثلا يقصد بها (المنهج الذي يستند إلى الاستقراء كأسلوب)، فالأسلوب العلمي بهذا المفهوم هو ذلك الجزء من المنهج الذي يخص الإطار الفكري الذي يعمل بداخله عقل الباحث.

أما الأدوات والتقنيات فهي تلك التي تقع على مستوى التعامل المباشر مع الوقائع، فهي تمثل إجراءات ملموسة ترتبط بالواقع المدروس مباشرة، وتتحدد تلك الأدوات وتقنياتها بنوع المنهج المتبع، فالأدوات هي تلك الوسائل التي تساعد الباحث في الحصول على المعلومة أو المادة العلمية، و منها مثلا: الملاحظة و المقابلة و الاستبيان و القراءة و التهميش وغير ذلك، أما التقنيات فهي طرائق وكيفيات استغلال تلك الأدوات، فالملاحظة لها طرائقها، والاستبيان له طرائقه، وكذلك القراءة و التهميش والمقابلة، ورسم خطة البحث تحتاج إلى تقنيات معينة، وكذلك الحال بالنسبة لصياغة العنوان والإشكالية وغير ذلك، ولا يتحقق الاستغلال الأمثل لأدوات البحث التي يفرضها المنهج و طبيعة الموضوع إلا بالقدرة على تحديد التقنيات المناسبة لها.

وفي الأخير نخلص من هذا كله إلى أن المنهج بمفهومه العام هو: الطريق الذي يسلكه الباحث، في رسم له الخطوات العقلية التي يتبعها وفق قواعد وقوانين معينة، ويحدد له الإجراءات التي يقوم بها وكذا الأدوات والتقنيات التي يستعين بها من أجل الوصول إلى الحقيقة العلمية.

2- المنهجية:

مصطلح المنهجية هو مصطلح حديث النشأة ، يقابله في اللغة الإنجليزية مصطلح (Methodology) وفي الفرنسية (Methodologie)، وهي كلمة مركبة من جزئين، هما: منهج (Methode) التي تعني الطريقة الواضحة، واللاحقة: (Logie) بمعنى العلم؛ وبذلك يكون معناها: علم المنهج أو علم المناهج ، أي العلم الباحث في المناهج ، أو العلم الباحث في الطرق المستخدمة في العلوم للوصول إلى الحقيقة، فهو يحدد الشكل العام للمناهج، وبذلك تكون المنهجية علما و مادة ذلك العلم هو المنهج، كقولنا (الألسنية) بمعنى علم اللسان ؛ أو بعبارة أخرى هو ذلك العلم الذي يعني بالمناهج من حيث التعريف بها وتحديد أنواعها وأهدافها و خطواتها و أساليبها و أدواتها وتقنياتها.

لقد شاع استعمال كلمة منهجية بمعاني مختلفة لا تتوافق في الغالب والمعنى العلمي الدقيق لها فكثيرا ما نستعمل عبارة (منهجية التدريس) ويكون المقصود مجموعة القواعد المتبعة أو الوسائل المستعملة لتحقيق غايات التدريس ، أو عبارة (منهجية في تلك الدراسة هي كذا) والمقصود هنا منهجه في تلك الدراسة، أو عبارة (منهجية في القراءة) والمقصود وصف طريقته في القراءة من حيث احترام الخطوات المتدرجة لفهم النص وإدراك محتواه وعناصره اللغوية)، أو عبارة (منهجية في الكلام كذا)، أو (منهجه في البحث كذا)، بمعنى طريقته في الكلام، وطريقته في البحث، أي تحديد ووصف الكلام أو البحث من حيث الإبانة والوضوح والترتيب والتسلسل وغير ذلك؛ وبهذا نلاحظ أن مصطلحي المنهج و المنهجية كثيرا ما تتداخلان مع بعضهما، يستعمل الأول بدل الثاني أو العكس، لذا وجب تحري الدقة في الاستعمال.

3- المنهاج:

أما مصطلح المنهاج فالملاحظ من التعريفات اللغوية السابقة أنه مرادف لكلمة المنهج، إلا أن استعماله الاصطلاحي تبيين أنه أخص من المصطلحين السابقين، ويقابله باللغة الأجنبية مصطلح (Curriculum)؛ و يستعمل بكثرة في مجال التعليم، عرفه صالح بلعيد بأنه: " خطة عمل تتضمن الغايات و المقاصد و الأهداف و المضامين والأنشطة التعليمية، ثم طرائق التعليم وأساليب التقويم"، ثم ذكر مصطلحين متقاربين في مجال التعليم وهما المنهاج (Curriculum) و البرنامج (Programme)، واعتبر الأول أعم من الثاني، على اعتبار أن البرنامج جزء من المنهاج، وبذلك يكون البرنامج محتوى لا كيفية، بينما المنهاج يشمل المحتوى والكيفية معا، فقال: " المنهاج هو: المقاصد والغايات الكبرى والوحدات المتكاملة في موضوع من المواضيع، ويعول عليه في تصميم السياسة اللغوية في ميدان التربية، باعتباره ينظر إلى الأطر الكبرى التي يدور ضمنها برنامج التدريس فهو محتوى لا كيفية"، واعتبر أن نظرية المنهاج هي مجموعة من الاقتراحات والمبادئ و التوصيات القادرة على توصيف ما يمكن أن يكون عليه المنهاج من محتوى وتصميم وتطوير وتنفيذ. والحقيقة أن مادة (Curriculum) هي في الأصل كلمة إنجليزية استعارتها اللغة الفرنسية، وإذا ما نظرنا إلى تعريفها باللغة الفرنسية وجدناها تدل على معنى مسيرة حياة أو طريقة حياة، ولها علاقة بالحالة المدنية و الدراسية و المؤهلات المهنية لشخص من الأشخاص؛ جاء في معجم (Petit Larousse illustre) ما نصه: " Curriculum: carrière de vie: indications relatives à l'état civil aux études et aux aptitudes professionnelles d'une personne.

وبذلك يكون البرنامج المقرر الذي يضم مجموعة من المعارف موجهة لفئة معينة من الطلبة وفي مرحلة معينة من مراحل الدراسة، مصحوبة بإشارات منهجية وتعليمات موجزة حول

طريقة التدريس؛ أي أنه جزء من المنهاج الذي يضم مع هذا البرنامج بيانات أخرى تحدد الغايات التربوية والنشاطات التعليمية ، وتعليمات دقيقة لكيفية تقويم التعليم أو التعلم، ولا زالت المناهج التعليمية والتربوية في تطور مستمر إلى يومنا هذا بسبب التطور التكنولوجي وتطور طرائق التعليم و كذا تطور علوم اللسان والعلوم المساعدة كعلم النفس وعلم الاجتماع. والملاحظ أن مفهوم المنهاج يشترك مع المنهج في أنهما بمثابة الطريق التي يسلكها الفرد لتحقيق أهداف معينة ؛ ويفصلان في أن المنهاج أخص من المنهج، فمجال المنهاج هو العملية التربوية التعليمية ، كما أن المنهاج لا غنى له عن المنهج، بينما قد يستقل الثاني عن الأول، فالحاجة ماسة إذا إلى معرفة دقيقة بالمنهجية العلمية ليتحقق المنهاج ويحقق أهدافه.

خلاصة:

لقد تقاطعت ثلاث مصطلحات في اللغة العربية وهي (المنهج، المنهجية والمنهاج) مثلما تداخلت ثلاث مصطلحات قابلها في اللغة الأجنبية، وهي (Methodologie , Methode, Curriculum) إلا أن الفرق بينها دقيق.